JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ
العدد الثالث
(٢٨٣)- (٢٩٨)

دراسة في التاريخ الحضري للحيرة و علاقتها بمدينة النجف الاشرف ،الروافد الموجودة والتي يجب احياءها

م. موحد همام باقر
جامعة الكوفة، كلية التخطيط العمراني
Mohadh.baqir@uokufa.edu.iq

الخلاصة:

الحيرة من قلائل المدن العربية قبل الاسلام تتميز بتنوعها وموقعها الترابطي المهم بين الحضارة و البداوة. و من الضروري البحث التاريخي المفصّل لأي مدينة يراد تخطيطها ، فلا يمكن دراسة النجف الاشرف اليوم من دون دراسة الحيرة. يهدف البحث لابراز رؤية تخطيطة لمدينة الحيرة و كشف التاثيرات و التواصل الحضاري بين الحيرة و النجف و الكوفة. يفترض البحث ان هناك نقاط مشتركة و مهمة كثيرة تؤثر على طريقة تقديم و تخطيط النجف كمدينة عالمية مرت عليها الحضارات و الثقافات و كانت و يجب ان تبقى مركزا ثقافيا عالميا يأوي التنوع و التعايش و العلم و الثقافة.

حيث قام البحث بدراسة الحيرة من عدة جهات ثقافية و اجتماعية و عسكرية و حضارية و معمارية و عمرانية و خلال البحث أشر على نقاط الاشتراك و النكات المهمة و المنسية أو المغفول عنها في تخطيط و عرض و تسويق مدينة النجف الاشرف اليوم.

A Study In The Urban History Of ،Al-Hira And Its Relationship To The City Of Najaf, The Existing Tributaries That Must Be Revived

Mohad Humam Baqer
University of Kufa, Urban planning department

Abstract:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

Al-Hira is one of the few Arab cities that formed before Islam. It is special due to its diversity and its important interconnected location between civilization and Bedouin. It is fundamental to perform detailed historical research of any city we wish to plan. Therefore, it is necessary to study Al-Hira in order to study Najaf. This study aims to shed light on the city plans of Al-Hira and explore the effects and connections between Al-Hira, Najaf and Kufa. The study hypothesizes that there are common points that are important which affect how Najaf should be presented and planned as an international city. It is a city that has and should remain a cosmopolitan cultural centre which promotes diversity, knowledge and culture.

This study presents Al-Hira from various standpoints: cultural, social, military, civilizational and architectural. Through this study common points are discussed which are important to consider when presenting and promoting the city of Najaf today

التمهيد

الحيرة من قلائل المدن العربية المتحضرة قبل الاسلام تتميز بتنوعها و ان الكوفه انشئت بقربها جدا. و كان من الضروري البحث التاريخي المفصل لاي مدينة نبغي التخطيط لها فلايمكن دراسة النجف الاشرف اليوم من دون الرجوع لجذورها الحضارية . من هنا تاتي مشكلة البحث و هو ما هي التأثيرات الحيرة كمملكة و مدينة تخطيطيا و حضاريا و حضريا على مدينة النجف ، ما يمكن الاخذ به و ما يجب احياءه .

تكمن اهمية البحث انها حول المدينة التي على اسسها تاسست الكوفة و النجف الاشرف اليوم تعتبر وريثة الكوفه بمجدها و عنوانها . الحيرة مدينة ليست بعظمة بابل و اور و طيسفون ،انما مدينة أصغر بكثير من ناحية المساحة و الابهة و التاثير الحضاري. ندرسها لتأثيرها الواضح على الكوفة على الخصوص في بداية تاسيسها .

يهدف البحث لابراز رؤية تخطيطة لمدينة الحيرة و كشف التاثيرات و الترابطات و الفروقات بين الحيرة و النجف و الكوفة. بالمقارنة فإن الفارق في دراسة الحضارة و المدينة الرافدينية و مملكة و مدينة الحيرة يكمن في قلة المصادر الاثارية نسبة الى كثرة الالواح المكتشفة و هو ما يجعل البحث في غاية الصعوبة و يتحدد بالمرويات التاريخية الاخبارية و الأثرية على قلتها بشكل مدروس ، مع كل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

ذلك ان التزامن و القرب التاريخي عامل ايجابي نسبة ما. يفترض البحث ان هناك نقاط مشتركة و مهمة كثيرة تؤثر على طريقة تقديم و تخطيط النجف كمدينة عالمية مرت عليها الحضارات و الثقافات و كانت و يجب ان تبقى مركزا ثقافيا عالميا يأوي التنوع و التعايش و العلم و الثقافة.

التصور الرائج عنها انها مجرد سلطة تنفيذية ذو حكم ذاتي و يتلاعب بها ملوك الفرس متى شاؤو و انها يدهم على الاعراب ومانعتهم و حرسهم الحدودي و انها مجرد متاثرة من عدة ثقافات و حضارات فهم مهاجرون من اليمن و تابعين للفرس و مسيحيين..

يرى البحث ان الاهمية تكمن في

١- الاصل العربي،فهم اناس عرب و هذه اهم خاصية

٢-هم عرب حضربين والتحضر نادر في العرب

٣-الاختلاط المذهبي و التعايش

٤-النصرانية أي اتباعهم للدين السماوي و في تلك الفترة هي الشريعة السماوية التي يجب على الناس إتباعها

٥- الشعر و رعايته من قبل الملوك

٦- التلاقح الفكري و الثقافي من الحضارات الكبيرة الموجودة مثل الفارسية و البيزنطية و التأثير من الوارث الجغرافي الحضارة الرفدينيةمن هنا ،ما ذكر كنقاط للضعف تتبدل الى نقاط قوة و محفزات لاجراء البحوث و الدراسات.

٧- أهمية و وسعة الجانب الاسطوري ،فمجموعة كبيرة من اساطير العرب تكونت و حدثت هنا.

٨-المركزية العلمية و الجانب التوصلي بين حضارات الماضية و اللاحقة.

٩-العلوم الدينية و اهتمام الاهالي بها و مركزيتها للعلماء المنفيين

فيبدء البحث بدراسة الحيرة من عدة جهات ثقافية و اجتماعية و عسكرية و حضارية و حضرية و عمرانية.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

اسباب التسمية

للاخباريين واللغويين وعلماء جغرافيا البلدان، آراء في أصل اسم "الحيرة"، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل وعريض، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي بَعُد عهدها عنهم فحاروا فيها. كما إن لبعض المحدثين آراء في هذا الباب.

في لسان العرب يذكر في معنى حير حار لم يهتد لسبيله و تحير في امره ،و تحير الماء اذا اجتمع و دار و الحارة كل محلة دنت منازلهم.(ابن منظور،٢٠٠٣،ص٢٨٦) فنسبت لها الحيرة لتحير الماء في منطقة بحر النجف أو يمكن حارة بمعنى اقتراب البيوت و المنازل أو من قال ان تبع لما أقبل بجيوشه ضل دليله و تحير(الحموي،١٩٧٩،ج٣،ص٣٧٦) أو من الحوار و يعني البياض و قد سميت الحيرة البيضاء (العيثاوي٢٠٠٨،ص١١) وزعم بعض أهل الأخبار إن وصفهم اياها بالبياض، فإنما أرادوا حسن العمارة (حموي،١٩٧٩،ص٣٧٧) ولكن ان المكتشفات توكد كثرة استخدام الجص و التبييض في الابنية و القصور (غنيمة،١٩٣٦،ص١٤) فلعله بسبب بياض ابنيتها سميت بذلك.

ومعظم المستشرقين، يرون انها كلمة من كلمات بني إرم، وانها "حرتا" " "Hirta" "Harta Herta"" "حيرتا" "حيرتو" وفي اللغة السريانية، ومعناها المخيم والمعسكر و الحصن وانها تقابل في العبرانية كلمة "حاصير" ،و "Haser" (علي،١٩٩٩، ص١٥٦) و قد اطلق هذا بالفعل على منطقة بحر النجف (الطريحي،٢٠١٠،ص٣٠٣). كما ان (ح ي ر ت) في لغة عرب الجنوب معناه المخيم (بيوتروفسكي،٢٠٠٧،ص١٦٩) ايضا.

وقد جاء ذكر "الحيرة" في مؤلفات بعض المؤرخين السريان، فعرفت ب "الحيرة مدينة العرب"، "حيرتا دي طياية" (ابونا،٢٠٠٢،ص٥٦) كما يحتمل البعض نسبتها لطي (ربيعي ،٢٠٠٩،ص١٨)، و عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل "النعمان"، فقد ورد "حيرتو د نعمان دبيث بورسويي"، أي: "حيرة النعمان التي في بلاد الفرس". (علي،١٩٩٩،ص١٦١).وعرفت في التلمود ب "حيرتا دي طيه" أيضاً، أي "معسكر العرب" و "حيرة العرب(نفس المصدر،ص١٧٦) ".

فهي مدينة الحصن و التخييم و تعرف بعروبتها و بأهم ملوكها النعمان.

المناخ

وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه، حتى قيل "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة و"لبَيتَةُ ليلة بالحيرة أنفعُ من تناول شربة".. وقالوا عنها:"منزل برئ مرئ صحيح من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

الأدواء والأسقام"، وهي على "سيف البادية" ليست بعيدة عن الماء. " فتذكر الاخبار ان يزدجرد كان لا يبقى له ولد،،فدلّ على ظهر الحيرة،، وأمره باخراجه إلى بوادي العرب (الطبري،١٩٨٩،ج٢ص٦٥).

وقد وصفت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها: "الحيرة الروحاء"، فعرفت بصحة هواءها و طيب ماءها و نزهة ظاهرها تصلح للخف و الظلف سهل و جبل،بادية و بستان،بحر و بر،محل الملوك ومرادهم و مثواهم.(الحميري،١٩٧٤،ص ٢٠٩) و لا يتصور اختلاف شاسع مع ما هو عليه النجف الان حيث يذكر (إن الحيرة باردة في الشتاء و هي مفرطة الحر في الصيف)(البكري،٢٠٠٣،ص٢٧٦).

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً كان يصل بينها وبين الفرات. اما نواحيها، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى شاطئ الفرات(الطريحي،٢٠١٠)، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على البحر وشاطئ النهر لخصوصية المكان وما يمتلكه من ميزة لطيفة.

تاريخها

تأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدوّن أو كتابة مدوّنة قبل الميلاد، ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالسماح بالبحث في بطن الأرض وبإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التأريخ.

أما الأخباريون، فيرجعون عهدها إلى أيام "بختنصر"(علي،١٩٩٩،ص١٨٦). و قول في مجي ء أهلها من اليمن متفق عليه لكن باي كيفيته مختلفة فيه، وقد أدى ميلاد الكوفة في الإسلام الى أفول نجم الحيرة، اذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة (حكيم،٢٠٠٩).

الحياة الاجتماعية:

مدينة يسكنها اناس حضريون و بدو و متنوعي القبائل و الاديان و العروق حتى أنها كانت مدينة العرب وهم اكثرية فيها وأيضا مدينة اوثان و من ثم اصبحت مدينة للمسيحية.

نجد هذا التنوع بسبب وجود العرب المتحضرين الذين هاجروا اليها من اليمن بعد سيل العرم وأيضا العرب الشبه المتحضرين امثال تنوخ و كذلك الاعراب ساكني البادية الذين هم اساسا قريبون عليها(طريحي،٢٠١٠).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

و اللغة التي كانت تستعمل في الحيرة ،هي السريانية للطقوس و للانباط منهم الذين يتكلمونها في بيوتهم،و اللغة العربية التي يتداولونها في العامة (ابونا،٢٠٠٢،ص٣٣).

اما المرأة فتتخمر كما أثبته غنيمة بشواهده من الاشعار و انهن معتزلات عن اجتماعات الرجال و حتى ان نساء الملوك يتحجبن و لم يردن اسقاط النصيف(غنيمة،١٩٣٦،ص١٠٠). و ايضا هناك دلالة معمارية و دليل وظيفي على العمارة الحيرية فيذكر ان عمرو بن كلثوم زار عمر بن هند فدخلت امه ليلى على هند في قبة من جانب الرواق فأكل الرجال و أكلن النساء في قبتهن(نفس المصدر،ص١٠١) و لعله يبرز السبب في ثلاثية الاجزاء الرواق و ذو الكمين.

اوضاعها الاقتصادية

من ميزات الحيرة أن تكون مربط القوافل و محط ترحالها هجرة و تجارة و ذلك نظرا لموقعها المميز في الربط بين الصحراء و السواد فهي مركز اقتصادي يربط بين اقليمين متفاوتين بالمناخ و الثقافة و البضاعة و المحاصيل. سكانها تعمل في الصناعات و المهارات المختلفة و التجارة و الزراعة تبعا لطبيعة ارضها الخصبة، وهذا كان سبب في غنى أشرافها وتجارها، فاستعملوا آنية الذهب و الفضة و ناموا على فرش الحرير ،وتطيبوا بافضل الطيب و ارتدوا افخر الالبسة (الطريحي،٢٠١٠،ص٢٥) و اشتهر الثوب الحيري. وينقل لنا التاريخ ان

فعرفت من الصناعات عندهم النسيج (العلي،٢٠٠٣،ص١٢٣) ابوموسى الاشعري كان يرتدي مقطعة و مطرفا حيريا(عتابي،٢٠٠٩،ص٣١٤) كما كان في بابل ويكون في الكوفة فيما بعد فاشتهرت بالخز و الوشي فيها(حكيم،٢٠٠٩،ص٩٤) و ورثتها النجف في بعض انسجتها الفريدة. و من الصناعات صناعة الالات الحربية منها السيف الحيري قد اشتهر و الصياغة و الخزف و أواني الفخار المكتشفة خير دليل.و تذكر الصيرفة عندهم (العلي،٢٠٠٣،ص١٢٤-١٢٦) و هذا يؤكد دورها الاقتصادي الوسيط التجاري بين البحر و البادية والسواد و أقامة سوق سنوي لذلك.

دورها العسكري

تأسست هذه المدينة على اساس عسكري و نمط الحياة العربية عسكرية بالاساس. فلذلك نرى سبب التسمية كما مر الحيرة أي المعسكر و المخيم و الاثنان يبرزان وجهان للعرب يرعون و يغيرون وكانت الحيرة موجودة قبل الساسانيين ،فهيؤوها لتكون مملكة تابعة انيطت بها مراقبة الحدود

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

بالخصوص.و يشارك العرب الحيريون في الهجمات و الحروب فيصلون الى الروم و يغزون باقي العرب. وعليه كانت مدينتهم مدينة دفاعية حربية بمعنى الكلمة.

و لعله لذلك نجدها منتشرة تدافع بالحصون و القصور المنتشرة، مثلما جرى في الفتح الذي تحصنوا في القصر الابيض و لعل الماء (النهر) هو مانعهم و يستفادون من علوهم على البادية و منطقتهم الستراتيجية العالية نسبة الى الهضبة و بالتالي هم حكام العرب و ليسوا مجرد حراس الفرس و الملك الحيري يبعث اولاده بينهم و له اتفاق مع كبار القبائل و كل هذا لم يستطع الملك الفارسي فعله لوحده أي ان ملوك الحيرة كانوا انفع للعرب و الفرس في الوقت نفسه..فنكاية السابور لم تذهب من اذهانهم و هي قوة عظمى ،نعم الصحراء و بُعد الطريق كانا مانعين لهجمات طويلة و ان الامبراطوريتان انما اغارا عليهم لا لغرض الاستيلاء انما لغرض التأديب و توصلا الى هذا الحل في جعل مملكتين عربيتين هما الغسانية و اللخمية لحفظ التوازن و الحدود.(حكيم،٢٠٠٩)(العلي،٢٠٠٣)(بيوتروفسكي٢٠٠٧)(Toral-Niehoff،٢٠١٣)

فدور هذه المنطقة بالنظر الى البادية و الحضر مفصلي و مهم و يجب الاخذ به في اي تفكير حول هذه الرقعة فنشوءها كان مبني على اساس هذا الترابط .

كما أن الحيرة برزت في التاريخ الاسلامي ،بمثابة جزء مهم من حروب الفتح التي حدثت سنة ١٢هـ فكانت مقصدا لجيوش المسلمين و من ثم مقرا لهم(ابن الاعثم،١٩٩١،صص٧٥-١٠٧).و بعد خمس سنوات أنشئت الكوفة الى جانبها و غدت رمزا وموطنا للعروبة الجديدة التي برزت في أحضان الإسلام، وكانت عروبتها مغايرة كل المغايرة لتلك التي جسمتها الحيرة طيلة ثلاث قرون.(جعيط،١٩٨٦،ص١٥)

دورها الثقافي- -العلمي-الديني

لفهم النجف كمأوى للعلم و الفكر و الثقافة يجب فهم دور الحيرة، من خلال دورها الثقافي و التمعن في الترابطات التي ادتها بين العرب و الفرس و الروم و فيما بعد بين المسلمين و المسيحيين و المجوس و كذلك دورها بين العربية و السريانية و باقي اللغات و بالتالي تاسيس شبكة من العلاقات الثقافية التي في النهاية غذّت الكوفة و سهلت عملية الانصهار الثقافي لباقي الأُمم في الاسلام ويمكن تلخيص ادوار الحيرة الثقافية بما يلي:

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

-١العلم

علم العرب الذي كانت تتفاخر به و تباري فيه هو علم لسانها و احكام لغاتها و نظم الاشعار و تاليف الخطب و كانت مع ذلك أهل علم الاخبار و معرفة السير و الأعصار(الأندلسي،١٩٩٧،ص٢٠٦). وحظى علم اللغة و علم التاريخ لأنهما السمتان البارزتان في العلوم العربية و الحيرة رائدة في ذلك.أما دورها الثقافي و الحضاري فيبدو عظيما اذ نصبت نفسها مركزا للشعر العربي الاصيل و ملتقى لتأثيرات مختلفة كذلك.

فقامت الحيرة بدورٍ رائد في تاريخ المنطقة و تاريخ العرب و نهضة اللغة العربية في القرون الاخيرة من الجاهلية و في صدر الاسلام ،و حسب هذا النص التاريخي المهم الذي يبين الترابطات الفكرية لوريثتها الكوفة و حجم التاثير الحيري على العلوم الاسلامية و نشأتها، فيقول الاندلسي (٤٢٠-٤٦٢ هـ):(فكانوا(أهل الكوفة) يعرفون اخبار الناس و كذلك من سكان الحيرة و جاور الاعاجم من عهد اسعد ابي كرب و بخت النصر حووا علم الاعاجم و أخبارهم)(١٩٩٧،ص٢٠٧) و من الواضح هو لم يقصد من الاعاجم الفرس بل كل سكان المنطقة من الروم و حتى البابليين و غيرهم و هو يبرهن الدور الوسيط الذي اتخذته الحيرة، و هذا الدور بقي حتى الى فترة الترجمة الاسلامية فترجم أهل الحيرة الكتب من اليونانية الى السريانية الشائعة عندهم و ليس ترجمة بحتة انما تتطلب الشرح و التدريس و من السريانية الى العربية ،فحنين وحده ترجم مئة كتاب(العلي،٢٠٠٣،ص١٢٩) و ذلك لتعدد اللغات التي كان يعرفها اهل الحيرة.فكانوا عربا و يتكلمون الفارسية و الارامية و..(ابونا،٢٠٠٢،ص٢٨) وهناك بعض الاوصاف لنظام التعليم في الحيرة من القرن الثاني و كان يتميز باستعمال المختصرات و طريقة الاسئلة و الأجوبة(العلي،١٢٦,٢٠٠٣)

و قد إشتهر أهل الحيرة بمعرفتهم القراءة و الكتابة في عصر جهلها اكبر الشعراء النوابغ.(ابونا،٢٠٠٢،ص١٥) و عن اهلها أخذت القريش الكتابة في فجر الاسلام(الشرقي،١٩٢٧،ص٤٦) فحتى الصبيان كانوا يعرفون الكتابة و تتعلم الصبيان في الاديرة (غنيمة،ص٤٥) و لهذه الاديرة و مدارس التعليم الديني دور مهم في الحركة العلمية في الحيرة.و أيضا اهتمام الملوك بالعلم حيث يذكر ان النعمان جمع لبهرام حكماء الروم و فارس و محدثي العرب(ابن مسكويه،ص١١٤). فكانت الحيرة مجمع لمختلف العلوم و المشارب الفكرية و بذلك وجدت الكوفة البيئة المُمهَّدة لتصبح أكبر أمصار العلم في العالم الاسلامي و ترفد في ما بعد مدينة النجف الاشرف.و هذه البيئة العلمية هي التي يذكرها جعفر الخليلي في كتابه (العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

فبعد ان يسترسل بالاجوبة المحتملة يؤكد ان النجف كل فضاءاتها اماكن تعلم في الديوان و المدرس و المسجد و المضيف و الحرم.(انظر خليلي،١٩٧٢)

-٢العلوم الدينية

نظرا لتمركز اتباع النصارى و كثرة الاديرة و الاساقفة و المشتغلين فيها من عباد و متعلمين و حركة التبشير و النشاط ديني و العلمي و دعم الاسرة الحاكمة برزت الحيرة احدى المراكز النصرانية العلمية.

فكانت الاديرة فيها مراكز علم و اشعاع ثقافي و ديني(ابونا،٢٠٠٢،ص٣٢) فتخرج منها عدد من رجال الدين المسيح الذين احتلوا مكانة عظيمة في تاريخ الكنيسة(العلي،٢٠٠٣،ص١٢٦). ولعل اكبر برهان على ما وصلت اليه الحيرة هو كثرة ما وصلنا من أخبار أعلامها الذين نبغوا في مختلف العلوم والفنون و المعارف(الطريحي،٢٠١٠،صص٣٢-٣٦).

لأنها قريبة على الصحراء نجد كثير من العلماء النصارى يأتونها فراراً و خوفاً على حياتهم، فمنهم شمعون الارشمي المعروف(نفس المصدر،ص٢٨) و الجاثليق (الاسقف العظم) داد يشوع في طيسفون(٤٥٦-٤٢١م) الذي ادخله يزدجرد السجن ثم اخرج بواسطة و انزوى في مدينة العرب(ابونا،٢٠٠٢،ص٥٦) و من ثم اجتمع عنده (أي في الحيرة حتماً) ستة و ثلاثون مطرانا من انحاء الشرق و قرروا التحرر من الاباء الغربيين أي الانطاكية(نفس المصدر،ص٧٤) و ايضا الجاثليق ايشيوعاب (٥٩٥م) الذي هرب و مات في الحيرة و دفن في دير هند أخت النعمان (نفس المصدر،صص١٣٣-١٤٠) و هلم جرى.

فهذه المعادلة أي: طائفة مظلومة مستضعفة عددا و قوة زائد علماء ملاحقون أدت مرات الى ان يلوذ العلماء (اصحاب الراي الغير متفق بالضرورة مع السلطة) الى هذه البقعة منهم آل ابي طالب لما التجؤه في عهد محمد نفس الزكية (الطبري،١٩٨٩،ج٣،ص١٨٦) و باقي السادات في مر التاريخ و كذلك التجاء الشيخ الطوسي الى هذه المنطقة الجغرافية.

اذن اجتماع العامل الطبيعي في ابتعاد هذه البقعة عن المركز و القرب الى البادية مقترنة بأناس ذو شجاعة و حماة أدى الى أن تتحول هذه المنطقة ملاذ للعلم و العلماء و من ثم مركز علمياً رصيناً حراً منفتحاً. من هنا يرى البحث أهمية النظر الى النجف كمركز علمي متحرر تاريخيا و لأسباب

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

واقعية على الأرض تستدعي التركيز عليها و اعادة بناءه ها على هذا الميزة المنفردة عن سائر المدن العلمية الاسلامية.

٣-الشعر

قد خلق في بلاط المناذرة –الذي تشيد به أخبار العربية بعد الاسلام– تيارا من التبادلات الثقافية يمتد الى البلاد العربية كلها.كان الشعراء و المغنون من الجزيرة العربية قد اتخذوا الحيرة مركزا مفضلا لتنقلاتهم و لنشر اعمالهم فقد ام مجلس عمرو بن هند (٥٦٩-٥٥٤ م) أعظم الشعراء أمثال الطرفة و الحارث بن حلزة و عمرو بن كلثوم،و هم من اصحاب المعلقات(ابونا،٢٠٠٢،ص٣٣)،حيث نصبت الحيرة نفسها مركزا للشعر العربي الاصيل. و نرى البكري يطري الكلام فيقول:

(أن أهل الحيرة كانوا أول من دون الشعر و كتبوه كانت شعراء الجاهلية تفد عليهم مثل الأعشي، النابغة، عتبة بن الابرص،بشر بن ابي خازم، عمروبن كلثوم، الحارث بن طرة، والمتلمس وطرفة و.. وكان آل منذر يأمرون كتابهم من أهل الحيرة أن يكتبوا أشعارهم فأخذها الناس(يقصد أهل الكوفة اولا)عنهم)(البكري،١٩٩٨،ص٣٥) و بعد كل هذا فهي بحق عاصمة الثقافة العربية آن ذاك و بانتقال الشعر مع الحضارة الى الكوفة و من ثم الى النجف بقيت عاصمة للثقافة.

منزلة الشعر في الحيرة و الكوفة و النجف تحفة لايستهان بها و تاريخ لا يمكن غض النظر عنها(خليلي،١٩٧١،ص١٣) و خاصية يجب التوجه اليها و ادخالها في مفاصل التخطيط الحضري لهذه المدينة فالشعر من الاسس التي يعتمد عليها في فهم و التوصل الى التاريخ العمراني لهذه البقعة و يجب ان تبقى مدينة ملهمة للشعراء و اصحاب الذوق ،فكثير من المعالم و الحوادث بقيت كأنها حية و ثبتت بواسطة الشعر وفاستلمته المدينة من رقة وعذوبة فلابد أن تبقى كذلك.

هناك ترابطات بين العمارة و الشعر باعتبارهما من معالم الحضارة العربية الاسلامية(ابوغزالة،٢٠٠١،صص١٣٩-١٥٤)، و ملاحظة كثرة الاشعار المدونة على الابنية خير شاهد فتدل تارة الى سنة البناء و تارة ترشد للاعتبار مثل ما وجده الوزير البرمكي في السدير و تارة تمجد الباني و توثقه و تارة نجدها مادحة مثل ما نجده من كثرة الابيات المدونة على جدران الحرم الشريف في النجف الاشرف والتي وصفته وصفاً فاق الخيال.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

٤- الخط

بعض الروايات التاريخية تقدر اشتقاق الكتابة العربية من كتابات أخرى أقدم منها و هي تفيد بأنها إشتقت من المسند وهو قلم الكتابة العربية الجنوبي أو انها متطورة عنه و نتج من ذلك قلم الجزم المنسوب للحيرة(ابن خلدون،١٩٩٩،ص٤١٨) بيد ان اكتشاف الالواح و النقوش الخطية ادت الى ظهور النظرية الغربية في أصل الخط العربي و اعتبرته متطورا عن الكتابة النبطية المتأخرة كما وجد من قال عن الارامية (ذنون.١٩٨٦،ص١٩) و هذا الرأي يتبناه اكثر المعاصرين لكن البعض يرى ان الصحيح انه بعد سقوط الانباط و غيرهم من المملكات القديمة و احتضار كتاباتها معها فلابد من قيام كتابة جديدة أكثر التصاقا باصولها و تمسكا بلغتها ، ولا يتصف هذا بالديمومة الا عند المتحضرين العرب و خاصة في الحيرة و الانبار (الجبوري،١٩٧٥،صص١٨-٢٣). وكان قيام دولة اللخميين ذات الاستقلال الداخلي و صلتها الوثقى بالجزيرة العربية هيئت لاستقلال حضاري ،خاصة في اللغة و الكتابة و الخط. (الجزم) و هو كتابة جديدة مستقطعة من الكتابات المتحضرة السائدة في المنطقة ذوالأصل الآرامي صاغت اولى هذه الخطوات. فكانت هذه الكتابة تتميز بحروف اضافية(ذنون.١٩٨٦،ص١١)

لذلك يحق للبعض التأكيد على ان العباد كانوا اول العرب في استعمال الخط العربي، حتى قيل ان المرقش استعان بالحروف السريانية التي كان مسيحيو الانبار و الحيرة يستعملونها ،ثم حورها فاصبحت الحروف العربية فيما بعد.(ابونا،٢٠٠٢،ص٣٨) و رواية ابن عباس قريبة من هذا المعنى حيث يقول أن العرب قبل الاسلام أخذوا الخط عن حرب الذي أخذه من عبدالله بن جدعان الذي أخذه عن أهل الانبار الذين أخذوه عن أهل الحيرة الذين أخذوه بدورهم من طارئ طرأ عليهم من اليمن (الجبوري،١٩٧٥،ص٢٢)، فيصف بعض الباحثين أن العرب تدين للحيرة بمعرفة فنها في الكتابة(قاسم ، أمين،١٩٧٢،ص٢) و ان اهل الكوفة أخذوا الخط من الحيرة و الانبار و طوروه (الجبوري،١٩٧٥،ص٢٣) بالمجموع يمكن القول إن للحيرة دور كبير و فعال و لم يقتصر على نقل الموروث بل طوروا و ابدعوا و أخذوا من اليمن موطنهم الاول و الاقوام والناس الذين بجوارهم من انباط و آراميين فكانوا يمارسونه و يتعلمونه و يجتهدون فيه. الامر الذي جعل بعضا من الشعراء يفد الى الحيرة لتعلم الخط وسلموا إلى الحضارة الكوفية و الاسلامية شجرة الخط العربي التي كبرت و

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

اصبحت من اجمل الفنون الاسلامية و إحدى شواخص حضارتها و عليه كانت دأب النجف و الى يومنا هذا نراها مدينة فن الخط و الخطاطين الكبار.

و هذه احدى الركائز الحضارية التي يجب أن يقوم عليه تصميم المشهد الحضري بعد ما أفرغت مدينة النجف القديمة(الا الحرم الشريف) من هذا الفن الجميل الاصيل(مع الاسف) ،لذلك ينبغي الاستفاده من الخط العربي في منظومة الارشاد و الاعلانات و واجهات المحلات و الابنية.

٥- المكتبات

و أمتازت الحيرة بأن كانت مركز للكتب و المخطوطات اولا لعلمهم بالكتابة ثم جمعهم للكتب و الشعر و الاهم انها كانت من المراكز العلمية للنصارى فكانت الاديرة تحوي على كتب مختلفة و بلغات مختلفة و علوم مختلفة فمعروف ان الاديرة بعضها مشفى و القساوسة يعرفون الطب و الحيرة مشهورة بذلك و بقيت الى العهد الاسلامي تنبض بالاطباء الحاذقين و ايضا لمعرفتهم باللغات و دورهم المهم في الترجمة و اخيرا لورود نصوص حول هذه الكتب، فمثلا نسمع ان عالما مشهورا كوفيا مثل إبن الكلبي ياتي الى الحيرة ليستفيد من كتبهم (ابن خلدون ،١٩٩٩،ج٢ص٣٠٤) . و بقيت خاصية وجود المكتبات نجدها في الكوفة ومنها الى النجف الأشرف و ليس بالصدفة إن من شروط تكوين مدن المعرفة Knowledge Cities في عصرنا هو وجود شبكة من المكتبات فيه.

أما على الصعيد الديني فقد تعايشت فيها الوثنية العربية و المانوية و المزدكية و النسطورية و المذهب التوحيدي لطبيعة المسيح.و اقتبست الكوفة كثيرا من هذه الخاصيات الحضارية و الثقافية ،لاسيما العناصر الهندسية المعمارية،و الكتابة ،و عناصر الشعور الديني و بذلك تبقى قضية تأثير الحيرة على ثقافة الكوفة كقضية أساسية.

٦- النصرانية

لم نعلم بصورة قاطعة متى دخلت المسيحية الى الحيرة.فكان سكان هذه المنطقة ،شأن سائر المناطق العربية الاخرى، يدينون بأديان الجاهلية. و عرفت الحيرة عبادة القمر .كما ان المزدكية و جدت لها انصارا في الحيرة في فترة وجيزة.وكان فها ايضا عدد من اليهود.(ابونا،٢٠٠٢,٧٨)

ان المسيحية قد انتشرت في ما بين النهرين منذ القرن الاول للميلاد أو في مطلع القرن الثاني. أن ماري أحد الاولياء الكبار (بادر الى جميع نواحي ارض بابل و العراقين و..بلاد العرب سكان الخيم و نجران واليمن).(شيخو.١٩٨٩.ص٧٤) ان الديانة المسيحية دخلت الحيرة في وقت مبكر ،وسرعان ما

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

انتشرت و اصبحت الديانة السائدة فيها. والظاهر ان عملية التنصر و الارتداد تمارس من قبل الملوك و لاسباب مختلفة منها السياسية بالطبع.على كل فالمهم ان مسألة النصرانية و تاثيرها موجود و مهم و سوف يكون دور علمي و ثقافي مهم للاديرة في هذه المنطقة.

الجانب العمراني

لعل من الامور المادية الشهيرة ان الكوفه بنيت من طابوق الحيرة كما تشير الروايات . ان التواصل المعماري و العمراني بين النجف و الحيرة مختلف نوعا ما خصوصا اذا عرفنا انها كانت مدينة صحراوية منتشرة تعتمد الاديرة و الحصون . اما العمارة الحيرية فيذكر مورخوا العمارة انها بالفعل هي العمارة التي نجد اثارها في النجف الاشرف . رمزيا الغريان تحولتا الى اسم هذه المدينة الى اليوم.

لعل التطور الحضري الذي نجده بالحيرة هو تأثير الحضارة الرافدينة العميق في تحضر العرب الرحل الذين كانوا دائم الإنصهار فيها (هم او امثالهم من ساميين غربيين) و هو دور لعبته الحضارة الرافدينية بل ارض الرافدين منذ القدم في جذب و تحضر الرحل و الجبليون .فكل ما نجده هو تلامس و تلاقح و امتزاج بين الطبيعة (الخشنة البعيده عن التحضر حسب ابن خلدون) و الحضارات العظمى من فرس و بيزنطيين و موروث رافديني كبير اضافة الى تحضر عربي يمني.

ويعتبر بناء القصر و جعل الحاجب و الرديف(و هو بمثابة الوزير) تقليد و اقتباس من الامبراطوريات المجاورة بل بناء القصور حتى ونرى ان الرواية تاريخيا كانت او اسطورية حول بناء القصر(الخورنق) تؤكد الدور البيزنطي فيها(حكيم،٢٠٠٩،ص٨٩). ويرى البحث ان مما سارع هذا التلاقح الفكري و الثقافي هو قبول عرب الحيرة أي العرب الحضريين للدين السماوي. فتعتبر الحيرة المِفصَل بين العرب و باقي الحضارات(Toral-Niehoff،٢٠١٣،ص١١٥) فهي الحالة الانتقالية العربية نحو التحضر.

كما ان الابنية الشهيرة لملكة الحيرية بقيت ملهمه لكل المعماريين. ان عظمتها و اتقانها بقيت محل تفاخر النصوص العربية . ومن أهم ما تناقلته الكتب التاريخية عن الحيرة هي الابنية الحيرية ،فاردفوا الابيات لوصف البيوت و القصور و الأديرة و الأحصنة، لأنها أهم مباني الحيرة. والمعروف من القصور الخورنق و السدير و من الاديرة الاسكون و مارمريم و هند..و السدير بالخصوص وكما يرى بعض الباحثين انه أساس طراز العمارة الاسلامية المعروف بالطراز الحيري (ذي الكمين،والذي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م/١٤٤٣هـ

يتكون من ايوان في صدره غرفة وفي جانبي غرفتان)(العلي،١٩٥٥،ص٧٦) كما ان هذا الجانب يحتاج الى بحوث تطبيقية اكثر بالاستفادة من اثار الابنية الموجودة من ذلك العهد.

استنتاج:

الحيرة كمدينة و مملكة تمتلك مقومات حضارية و حضرية غنية مكنّتها للعب ادوار مهمة و لفترات زمنية طويلة و على مساحة تاثير جغرافية كبيرة امتدت بين الصحراء الى الامبراطوريات المجاورة و استمرت الحضارة الحيرية بعطاءها في الفترة الاسلامية الاولى و اصبحت احد اهم روافد مدينة الكوفه الاسلامية الكبيرة.

قام البحث بدراسة هذه المقومات المناخية و الاجتماعية و العسكرية و الاقتصادية و الثقافية منها العلمية و الدينية و الشعر والخط و المكتبات و الديانة النصرانية النسطورية.

فكانت الحيرة متميزة و مستقلة الى حد كبير، تشبهها في ذلك النجف، التي كانت و لازالت نجف الحيرة تقوم بدور حضاري كبير و تستغل موقعها الجغرافي الصحرواي و بعدها عن مراكز القرار للحفاظ على استقلالها الفكري و السياسي .

نلخص ما ذُكر على شكل نقاط:

- الحيرة مدينة تقع على حافة الصحراء من اوائل القرن الاول الميلادي
- نشأت في جو من العرب الرحل و المتحضرين المنتقلين من اليمن
- لعبت دور سياسيا و عسكريا بين العرب و الفرس
- لعبت دورا ثقافيا بين التحضر و الترحال
- لعبت دورا اقتصاديا و تجاريا بين الصحراء و السواد
- لعبت دور دينيا بين الوثنية و المسيحية
- كان التنوع الثقافي من سماتها و يبرز ذلك من تعدد اللغات و الاطياف فيها
- مدينة حضريا بدويا بتركيبها الاجتماعي و الهيكلي و الوظيفي
- كانت مدينة العرب الكبرى لكنها ليست الكبرى بالنسبة إلى باقي الحضارات
- الاديرة المنتشرة فيها بقيت الى العهد الاسلامي تلعب ادوار ثقافية و دينية
- كانت مركزا و مأوى علميا لقربها من الصحراء و ابتعادها من مراكز القوى فأغدت مأوى للعلماء الهاربين من قسوة الحكام
- لها ابنية كبيرة و منيعة تعكس الحضارتان الفارسية و البيزنطيا و معلما هاما لدى عرب الجاهلية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

-تحوم حولها كثير من الاساطير و القصص العربية الجاهلية

-مركزا للشعر و مهدا للخط و الطب و الكتابة و الترجمة

- أثرت بشكل جلي على الكوفة في اختيار مفاصلها وبناء مبانيها و مواد بناءها

- بقى العنصر النصراني موجود و متعايش مع المسلمين لقرون عدة

-ورثت الكوفة و النجف كثير من خصائصها التي ذكرت في الاعلى لكن بفارق في التقدم الحضاري الواضح للكوفة عليها.

المصادر:

١. ابن الاعثم ابي محمد احمد بن أعثم الكوفي م٣١٤،الفتوح،دارالاضواء،بيروت،١٩٩١
٢. ابن خلدون عبدالرحمن،تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر،دارالكتب العلمية،بيروت،١٩٩٩
٣. ابن مسكويه احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه بن علي م٤٢١،تجارب الامم وتعاقب الهمم،دارالكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٣
٤. ابن منظور جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب ،دارالكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٣.
٥. ابوغزالة د.ظاهر،الشعر والعمارة توأما الحضارة. دراسة عباسية،دارالمنهل،بيروت،٢٠٠١
٦. ابونا البير،تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من مجيء الاسلام حتى نهاية العصر العباسي،دارالمشرق،بيروت،٢٠٠٢
٧. البكري ابي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد م٤٨٧،المسالك و الممالك،دارالكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٣
٨. الاشعار المدونة على جدران الحرم الشريف،منشورات العتبة العلويةالمقدسة،النجف،٢٠١١
٩. الاندلسي القاضي ابوالقاسم صاعد، التعريف بطبقات الأمم،نشرميراث مكتوب،طهران،١٩٩٧
١٠. البكري ابي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز،معجم ماستعجم من اسماء البلاد و المواضع،دارالكتب العلمية،بيروت،١٩٩٨
١١. بيوتروفسكي،ترجمة:الشعيبي محمد،يمن القديمة اليمن قبل الاسلام والقرون الاولى للهجرة،دار الكتب اليمنية،٢٠٠٧
١٢. الجبوري تركي عطية،الخط العربي الإسلامي،دارالتراث الاسلامي ،بيروت،دارالبيان،بغداد،١٩٧٥
١٣. جعيط هشام ، نشأة المدينة العربية الاسلامية الكوفه ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ،١٩٨٦
١٤. حكيم د.حسن عيسى،الحيرة جذوة الحضارة و أصالة التراث،منشورات المكتبة الحيدرية،٢٠٠٩
١٥. الحميري ابوعبدالله محمد بن عبدالله، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ، مكتبة لبنان،١٩٧٤

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
ISSN 2306-5249
العدد الثالث
٢٠٢١م /١٤٤٣هـ

١٦. الخليلي جعفر ،العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية،مكتبة الاداب النجفية .جمعية الرابطة الادبية،النجف،١٩٧١.

١٧. قاسم د.حسين ، امين د.حسين،أثر العرب،الجامعة المستنصرية بغداد،١٩٧٢

١٨. ذنون يوسف،قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في العصور المختلفة مجلة المورد،المجلد الخامس عشر العدد الرابع،١٩٨٦

١٩. ربيعي فاضل،المسيح العربي النصرانية في الجزيرة العربية و الصراع البيزنطي–الفارسي،رياض الريس للكتب والنشر،بيروت،٢٠٠٩

٢٠. الشابشتي ابي الحسن علي بن محمد م٣٨٨هـ ق،تحقيق عواد كوركيس،الديارات،دارالرائد العربي،بيروت،١٩٨٦

٢١. الشرقي علي،مجلة الحيرة،المجلد الاول العدد الثاني،النجف الاشرف،١٩٢٧

٢٢. شيخو لويس،النصرانية و آدابها بين عرب الجاهلية،دارالمشرق،بيروت،١٩٨٩

٢٣. الطبري ابي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الامم و الملوك،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت،١٩٨٩

٢٤. الطريحي،محمد سعيد، الديارات و الأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها،اكاديمية الكوفة،هولندا،٢٠١٠

٢٥. عتابي د.جمال حسن ،المدن على الضفاف،دار الشؤون الثقافية،بغداد،٢٠٠٩

٢٦. علي د.جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،منشورات الشريف الرضي،بلا،١٩٩٩

٢٧. العلي صالح احمد، تاريخ العرب القديم و البعثة النبوية،شركة المطبوعات للنشر،بيروت،٢٠٠٣

٢٨. العلي صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب،دار المعارف،بغداد،١٩٥٥

٢٩. العيثاوي د.احمد حسين عبد،الادب في الحيرة،دارالشؤون الثقافية العامة،بغداد،٢٠٠٨

٣٠. غنيمة يوسف رزق الله،مملكة الحيرة ،طبعة دنكور الحديثة،بغداد،١٩٣٦

٣١. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ابي عبدالله شهاب الدين الرومي،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،١٩٧٩

32. Carrillo. F.J, Knowledge-Based Development II: Knowledge Cities, Journal of Knowledge Management,vol8,no.5

33. Toral-Niehoff, I. (2013). Late Antique Iran and the Arabs: The Case of al-Hira*, Journal of Persianate Studies, 6(1-2), 115-126